

قابلية التكذيب والتكذيب

يميز "بوبر" بين قابلية التكذيب Falsifiability والتكذيب Falsification ، حيث أن إخضاع القضية أو فروضها لمعيار قابلية التكذيب لا يعني تكذيبنا لها بقدر ما يعني تسليمنا بأن هذه القضية ليس بنهائية، وإنما يمكن تجاوزها نحو قضايا أخرى، يقول بوبر " : "إننا نقول أن نظرية تكون مكذبة فقط إذا كنا قد قبلنا قضايا أساسية تناقضها، وقبول هذه القضايا الأساسية التي تناقض النظرية لا يعتبر شرطاً كافياً لتكذيب النظرية بالرغم من ضرورته حسب قول بوبر"، وإنما " سوف تعتبر نظرية مكذبة فحسب إذا اكتشفنا أثراً يرفض النظرية.

إن القضية العلمية تبقى في دائرة العلم طالما هي قابلة للتكذيب، ومتى برزت حادثة أو مشكلة تناقض هذه القضية فإن هذا التناقض يؤدي إلى تكذيبها وخروجها عن دائرة العلم. ومن الأمور التي سببها "بوبر" أن تكذيب نسق في النظرية لا يؤدي إلى تكذيب النظرية ككل، فكل نظرية علمية فروضها المساعدة وآلياتها الدفاعية والتحصينية وليس من السهولة نبذها من السياق العلمي".

إن قابلية التكذيب هي خاصية تؤلف جانباً من جوانب بنية النسق الأمبريقي وبعد هذا النسق علمياً لأنه قابل للتكذيب، أما التكذيب فإنه يتضمن تحقق بعض الشروط التي تجعل من ذلك النسق مكذباً بالفعل بعد أن كان قابلاً للتكذيب بالقوة، فيقول بوبر " يجب علينا أن نميز بوضوح بين قابلية التكذيب كمعيار للخاصية الأمبريقية لنسق من القضايا، أما بالنسبة للتكذيب، فيجب علينا أن نقدم قواعد خاصة تحدد لنا تحت أي الشروط ينظر للنسق على أنه مكتوب".

كما يرى بوبر أنه من الصعب في المؤسسة العلمية رفض نظرية متأصلة ومتبلورة عبر جهود الكثير من العلماء لمجرد ظهور حادثة جزئية تعارضت مع مبادئها ومفاهيمها. ولقد اتخذ "بوبر" هذا الموقف لاعتقاده بوجود صياغة نظريات علمية قابلة للتعديل خلال مسيرة تطور العلم، فمن الواجب أن تتسم النظريات العلمية بالتغير على نحو دائم، ولا يرجع هذا لمجرد الصدقة، وإنما هو أمر لابد من توقعه وفقاً لتصويرنا للعلم الأمبريقي .

واستكمالاً لبحثه في قابليات النظريات العلمية وأنساقها للتكذيب أوضح "بوبر" أن للنظريات العلمية طرق تحصينية تستطيع من خلالها تجاوز اختبارات متعددة وبالتالي تبقى قابلة للتكذيب، أي تبقى نظرية علمية سائدة ولكن يجب التمييز بين طرق دفاعية حقيقية تشكل جزءاً من النظرية

وتسمى الفروض المساعدة، وأخرى تحايلية غايتها التهرب من التكذيب وتسمى العينية، ويمكن شرح ما يقصده بوبر " بالفروض المساعدة من خلال المثالين التاليين:

أ- في مرحلة سابقة من تاريخ العلم تبين للعلماء أنه يوجد اضطراب في مسار الكوكب (أورانوس) فقد انحرف عن مساره المفترض انحرافا يتعارض مع نظرية الجاذبية، ولكن العلماء لم ينظروا إلى الانحراف بوصفه فرضا مكذبا لنظرية الجاذبية، بل افترضوا وجود كوكب آخر يؤثر على مسار (أورانوس)، وقد مثل هذا الافتراض فرضا مساعدا عمل على تحسين النظرية من التنفيذ، ومع التطور التقني والتكنولوجي تم اكتشاف الكوكب الآخر الذي يؤثر على مسار (أورانوس) وسمي بـ (نوبتون) وأصبح هذا الفرض جزء لا يتجزأ من نظرية الجاذبية.

ب- إن اللقاحات التي تعطى للأطفال بهدف وقايتهم من الإصابة بأمراض مثل "الجدري" تعمل على وقاية آلاف الأطفال من ذلك المرض، فإن أصيب طفل بمرض الجدري رغم إعطائه اللقاح المناسب، ينبغي أن لا يؤدي ذلك إلى تكذيب المصل المسؤول ورفضه، بل يقترح فرض مساعد يتضمن أن الكمية التي أعطيت للطفل المصاب فاسدة أو أن الجرعة كانت غير كافية، فالفرض المساعد هنا يشكل طريقة دفاعية تعمل على تحسين النظرية لأنه من غير الممكن تكذيبها لظهور حالة واحدة مناقضة، وهو ما يقتضي الاستعانة بفرض مساعد وهذا يرتبط بدوره بثبات فاعلية اللقاح في المختبرات الطبية.

فلسفة "أوبر" بين التراكمية والثورية:

قد يتصور القارئ لـ "بوبر" ومعياره قابلية التكذيب بأن هذا المبدأ يعبر عن عملية تراكمية - محضة في العلم من خلال تراكمية النظريات والنماذج البحثية التي تنشأ عبر تنفيذنا للنظرية الآنية وسعينا نحو إيجاد بديل أكثر دقة وموضوعية من الذي يسبقه في تفسير الظواهر، حيث يكون هذا البديل مكملا ومنطلقا من آخر نقطة توقفت فيها القضية المكذبة، غير أن هذا الطرح يتعلق بالتكذيب وليس بقابلية التكذيب.

- يعتبر مبدأ قابلية التكذيب معيارا يحدد ما إذا كانت المعرفة علمية أو غير علمية ولا يرتبط ارتباطا مباشرا بما إن كانت المعرفة تراكمية أو ثورية.

- يتعلق مفهوم التراكمية والثورية بالتكذيب أكثر منه بمبدأ قابلية التكذيب فهما مفهومان يرتبطان ارتباطا مباشرا بنتائج الدراسة، أي أنهما يرتبطان بالدليل التجريبي التعملي الحاسم وليس بالإمكانية المنطقية للتكذيب من حيث المبدأ .

استنتاج:

إن جاءت فلسفة بوبر " لتدعو إلى ثورة على المعايير والمفاهيم الكلاسيكية، وأن المعرفة العلمية والتقدم العلمي قد تجسدا من خلال الثورية على القديم، ولا يكون هذا حسبه إلا من خلال معيار قابلية التكذيب وتحديدًا من خلال التكذيب" في حد ذاته

